

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الأعلى

وهي سورة مكية، حيث يقول سبحانه وتعالى:

﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣) وَالَّذِي

أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (٥)﴾

أولاً: هذه سورة كان يحبها النبي ﷺ؛ وذلك لكثرة ما احتوت عليه من الخيرات، كما قال الإمام النووي رحمه الله.

ثانياً: كان النبي ﷺ يقرأها في صلاة الوتر، فكانت تقول السيدة عائشة رضي الله عنها، حيث سئلت: بأي شيء كان يوتر رسول الله ﷺ؟ قالت: كان يقرأ ﷺ في الأولى بـ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾

وفي الثانية بـ: ﴿قُلْ يَتَّخِذُ الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]

وفي الثالثة بـ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] والمعوذتين.

ثالثاً: لما نزلت هذه السورة قال ﷺ: «اجعلوها في سجودكم».

رابعاً: معنى هذه الآيات: نزه ربك عما لا يليق به، فهو سبحانه ﴿الْأَعْلَى﴾ صاحب العلو والقهر والغلبة.

هو سبحانه ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ كل شيء ﴿فَسَوَّى﴾ خلقه على إحكام وإتقان.

﴿و﴾ هو سبحانه ﴿الَّذِي قَدَّرَ﴾ لكل مخلوق ما يصلحه ﴿فَهَدَى﴾ وأرشد إلى

وجوه النفع والإفادة.

﴿و﴾ هو سبحانه ﴿الَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ من جميع صنوف النباتات والمزروعات،

خضرًا ناضجًا من الأرض ﴿فَجَعَلْنَاهُ﴾ بقدرته بعد ذلك ﴿عُشَاءً﴾ هشيمًا ضعيفًا بعد تماسكه ﴿أَحْوَى﴾ يابسًا بعد طراوته.

أفلا يستحق ربنا سبحانه التسبيح؟

حقًا: (سبحان ربي الأعلى) وتنزه وتعالى عما لا يليق بذاته.

وبعد هذا البيان لهداية الله العامة لكافة خلقه: يأتي البيان الواضح لهداية الله الخاصة لمحمد ﷺ، حيث يقول الله عز وجل:

﴿سُقِّرْتُكَ فَلَا تَسَىٰ﴾ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَيُخَوِّفُ لِّلْإِنْسِ ﴿٨﴾

﴿سُقِّرْتُكَ﴾ ما نوحيه إليك على لسان جبريل من آياتنا ﴿فَلَا تَسَىٰ﴾ منها شيئًا، ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أن ينسخه، فلا نبقية في حفظك، لأن الرسول ﷺ كان يجهر بالقراءة مع قراءة جبريل عليه السلام؛ مخافة النسيان!!

فقد قال له ربه عز وجل: ﴿لَا تُخَوِّفُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنصَحْ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة ١٦ - ١٨]

وكان ذلك من الله تعالى، حيث ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ﴾ من القول والفعل، ﴿وَمَا يَخْفَىٰ﴾ منهما على المخلوقات.

﴿و﴾ سوف ﴿يُخَوِّفُكَ﴾ ونوفقك، ونسهل عليك العمل بالشرعية السمحة السهلة ﴿لِّلْإِنْسِ﴾. لذلك:

﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾ ﴿٩﴾ سَيَذَكِّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيُنَجِّنَهَا مِنَ الْآسَافِ ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾

﴿فَذَكِّرْ﴾ يا محمد وعظ بالقرآن ﴿إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾ وإن لم تنفع، حيث إنه ما عليك إلا البلاغ.

وعلى كل حال: ﴿سَيَذَكِّرُ﴾ ويتنفع بهذه التذكرة ﴿مَن يَخْشَىٰ﴾ الله ويخافه سبحانه.

﴿وَيَجَنَّبُهَا﴾ فيبتعد عنها، ولا ينتفع بها ﴿الْأَشْقَى﴾ وهو الكافر ﴿الَّذِي يَصِلْ﴾ يدخل ﴿النَّارَ الْكُبْرَى﴾ وهي نار جهنم، حيث إن الصغرى: هي نار الدنيا.
﴿ثُمَّ﴾ بعد أن يدخلها ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح، ﴿وَلَا يَحْيَى﴾ حياة خالية من العذاب.

وأما من ينتفع بالذكرى، فيقول عنه ربه جل وعلا:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ (١٤) و﴿ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ (١٥)
حقاً: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ وفاز ﴿مَنْ تَزَكَّى﴾ وتطهر بالإيمان، والعمل الصالح، والأخلاق الفاضلة، ﴿وَذَكَرَ﴾ في كل أحواله ﴿اسْمَ رَبِّهِ﴾ معظماً له ﴿فَصَلَّى﴾ وسبح الله ونزهه سبحانه.

ولكن!! ما دامت التزكية للأخلاق، والتذكر لله في جميع الأحوال، والصلاة طريق الفوز والفلاح!! فلم ينصرف عنها الناس؟ وما السبب في ذلك؟ يقول ربنا تبارك وتعالى:

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (١٦) و﴿الْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (١٧)
أي ﴿بَلْ﴾ أنتم ﴿تُؤْثِرُونَ﴾ تفضلون ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ وما فيها من زخرف فإن على الآخرة، وما فيها من نعيم باق لا يزول.
﴿وَالْآخِرَةَ﴾ وما فيها لو كنتم تعقلون ﴿خَيْرٌ﴾ لكم ﴿وَأَبْقَى﴾ من الدنيا وما فيها.

﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ (١٨) ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ (١٩)
نعم، ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الفلاح لمن تزكى، وخيرية الآخرة ودوامها ﴿لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ مسجل وموجود، وموحى به إلى الرسل السابقين، ومنهم ﴿...إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام.

obeikandi.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الغاشية

وهي سورة مكية، وكان النبي ﷺ يقرأ ب: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، وهذه السورة في صلاة العيد، ويوم الجمعة.

وهي: تبدأ بهذا السؤال من الله عز وجل:

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾

والمعنى: قد ﴿أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ وهي يوم القيامة، التي تغشى الناس جميعاً وتعمهم بأهوالها، فماذا أعددت لها؟ وهذه أحوال الكافرين فيها:

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ﴾ (٢) ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ (٣) ﴿تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً﴾ (٤) ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ عَائِنَةٍ﴾ (٥) ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ (٦) ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ (٧)

نعم، لهم ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ إذا غشيت الناس الغاشية، ﴿خَشِيعَةٌ﴾ ذليلة من الخزي والهوان.

﴿عَامِلَةٌ﴾ في الدنيا بالمعاصي ﴿نَاصِبَةٌ﴾ في الآخرة، ومتعبة من العذاب والهلاك. حيث ﴿تَصَلَّى﴾ تدخل ﴿نَارًا﴾ حارة شديدة الحرارة ﴿حَامِيَةً﴾، فإذا ما عطشت: ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ﴾ من ماء ﴿عَائِنَةٍ﴾ انتهى حرّها، واشتد غليانها.

هؤلاء ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ﴾ في هذه النار ﴿إِلَّا﴾ طعام ﴿مِنْ ضَرِيعٍ﴾ وهو الزُّقُوم، الذي هو سم قاتل.

وهذا الطعام: عديم الفائدة، حيث إنه ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾. وأما المؤمنون، فهذه بعض أحوالهم:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ ٨ ﴿لِسَعِيهَا رَاضِيَةٌ﴾ ٩ ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ ١٠ ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لُغِيَّةً﴾ ١١ ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ ١٢ ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ ١٣ ﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ ١٤ ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ ١٥ ﴿وَزَرَارِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ ١٦

نعم، لهم ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ إذا غشيت الناس الغاشية ﴿نَّاعِمَةٌ﴾ أي: منعمة ﴿لِ﴾ ثواب ﴿سَعِيَّهَا﴾ في الدنيا بالطاعة ﴿رَاضِيَةٌ﴾ سعيدة في الآخرة.

وهي - أي أصحاب هذه الوجوه - مقيمة ﴿فِي جَنَّةٍ﴾، هذه الجنة: موصوفة بهذه الصفات:

أولاً: ﴿عَالِيَةٍ﴾ حساً ومعناً.

ثانياً: ﴿لَا تَسْمَعُ﴾ هذه الوجوه ﴿فِيهَا لُغِيَّةٌ﴾ أي كلمة لغو.

ثالثاً: ﴿فِيهَا﴾ أي هذه الجنة ﴿عَيْنٌ﴾ أي: عيون بالماء ﴿جَارِيَةٌ﴾ لا تنقطع أبداً.

رابعاً: ﴿فِيهَا﴾ أي هذه الجنة ﴿سُرُرٌ﴾ أي: أسرة ﴿مَرْفُوعَةٌ﴾ الذات والقدر والمحل.

خامساً: ﴿و﴾ فيها ﴿أَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ على حواف هذه العيون الجارية، معدة لشربهم.

سادساً: ﴿و﴾ فيها ﴿نَمَارِقُ﴾ أي: وسائل ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾ بشكل يسعدهم الجلوس والالتكاء عليها.

سابعاً: ﴿و﴾ فيها ﴿زَرَارِيُّ﴾ بسط: جمع بساط، ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ منثرة في أماكنها بشكل يسعد العين ويريح النفس.

هذه هي الغاشية!! وتلكم أحوال الناس فيها من مؤمنين وكافرين!!
ألا يستدعي الأمر إعادة النظر مرات ومرات في ملكوت الله؛ بما يساعد على الإيمان به سبحانه، وزيادة الاعتبار بآياته، لذلك: يقول الحق سبحانه:

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِلَهِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى

الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ﴾ أي: هلاً ينظر الناس ﴿إِلَى الْإِلَهِ﴾ ويعرفون ﴿كَيْفَ خُلِقَتْ﴾؟ حيث إنها: خلق عجيب، وتركيبها غريب، فهي في غاية القوة والشدة، ومع ذلك تلين للحمل الثقيل، وتنقاد للقائد الضعيف، ويؤكل لحمها، ويُتفَع بوبرها، ويُشرب لبنها، وبهذا: ألا يعتبرون فيؤمنون، أو يزدادون إيماناً؟

﴿وَإِلَى السَّمَاءِ﴾ كذلك ينظرون، ويعرفون ﴿كَيْفَ رُفِعَتْ﴾؟ حيث إنها: رفعت رفعا بعيد المدى، وكثرت نجومها كثرة هائلة، وتعددت كواكبها.

﴿وَإِلَى الْجِبَالِ﴾ أيضاً: ينظرون، ويعرفون ﴿كَيْفَ نُصِبَتْ﴾؟

حيث إنها: راسخة لا تحيد وتضطرب بأهلها.

﴿وَ﴾ رابعاً ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ ينظرون، ويعرفون ﴿كَيْفَ سُطِحَتْ﴾؟ حيث إنها: بسطت ومدت، ومهدت للحياة عليها.

أخيراً: هل ينظرون؟ وهل يعتبرون؟ إذا حدث هذا، أو لم يحدث؟

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾

أي: ﴿فَذَكِّرْ﴾ الناس يا محمد، ولا عليك من عدم إيمانهم ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ ومبلغ فقط.

كما أنك ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ حتى تلزمهم بالإيمان وتكرهمهم عليه.

﴿إِلَّا﴾ أي: لكن ﴿مَنْ تَوَلَّى﴾ وأعرض عن الإيمان والعمل الصالح ﴿وَكَفَرَ﴾ بقلبه ولسانه: ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ في جهنم.

حيث، ﴿إِنَّ إِلَيْنَا﴾ بالموت، أو يوم القيامة ﴿إِيَابَهُمْ﴾ رجوعهم.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا﴾ بعد رجوعهم إلينا ﴿حِسَابَهُمْ﴾ فلا يفلتون من عقابنا وعذابنا!!

obeikandi.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الفجر

سورة مكية، تبدأ بقوله تعالى:

﴿وَالْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝﴾

يقسم ربنا عز وجل بهذه الأشياء الخمسة، وله سبحانه أن يقسم بما يشاء، فيقسم قائلاً: ﴿وَالْفَجْرِ﴾ والمراد: فجر كل يوم.

﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ وهي: العشر الأول من ذي الحجة.

﴿وَالشَّفْعِ﴾ وهو: الزوج من كل شيء، ﴿وَالْوَتْرِ﴾ أي: الفرد كذلك من كل شيء.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ يجري ويدور مقبلاً ومدبراً.

ولكن، علام يقسم ربنا سبحانه بهذه الأشياء؟ يدل على الجواب: ما بعد هذه الآيات وهو: إن ربك ليحاسب ويعاقب ويثيب.

وليس الأمر سدى كما يظن بعض الناس.

﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ ۝﴾

أي: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ﴾ القسم السابق بهذه الأشياء ﴿قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ﴾ أي: لذي عقل ينههم، ويدعوهم إلى طاعة الله وعبادته؟

الواقع أن كثيراً من الناس لا ينتبهون، ولا يطيعون، بالرغم من تنبيه المولى الدائم، وتحذيره المستمر، على السنة رسله:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِمْرَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي
الْبَلَدِ ﴿٨﴾ وَثُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْنَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ
طَغَوْا فِي الْبَلَدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ ﴿١٢﴾﴾

ماذا فعل بهم؟ يقول ربنا عز وجل:

﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾﴾

حيث أهلك سبحانه عادًا قوم هود: ﴿بَرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَنَعًا لِيَالٍ
وَتَمَنِيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَزُوا بِخَلْقِ حَاوِيَةٍ ﴿٧﴾﴾ [الحاقة: ٦، ٧].

كما أهلك ثمود قوم صالح بالرجفة: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِينًا ﴿٨﴾﴾ [الأعراف: ٧٨].

وكذلك أهلك فرعون وقومه، حيث يقول سبحانه:

﴿فَاغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الزخرف: ٥٥، ٥٦].

حَقًّا: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾

نعم، لا يفر من عقابه ظالم، ولا ينجو من عذابه طاغية.

لا يريد الله تبارك وتعالى من الإنسان، إلا الطاعة، وأما الإنسان: فلا يهمله إلا العاجلة،
ولا يشغله إلا زخرفها ومتاعها، لذلك: يكشف ربنا هذه الطبيعة، حيث يقول:

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا
ابْتَلَاهُ فَقَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾﴾

نعم، يخطيء الإنسان، حيث يفهم أن الاختبار بالنعم تكريم، وأن الاختبار بالمحن
إهانة، والحقيقة: أن الأمر ليس على هذا النحو، فإن الله عز وجل يعطي الدنيا ومتاعها:
مَنْ يُحِبْ وَمَنْ لَا يُحِبْ.

ولذلك: فالطاعة في الحالين - اليسر والعسر - هي المطلوبة، والإنسان لا يفهم ذلك.
بل هناك ما هو أشد خطأ من ذلك:

﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحْضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿١٨﴾
وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾

هذه صفات خسيصة، وأفعال ذميمة تؤدي بصاحبها إلى الخسران، ليس في الدنيا فقط، بل في الآخرة أيضاً. حيث يقول ربنا سبحانه:

﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِئَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾

في يوم القيامة، ووسط هذه الأهوال الجسام: يتذكر الإنسان عمله، فيندم، ولكن ماذا يفيد الندم!! ماذا يقول؟

﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾﴾

الآن عرف أن الحياة الحقيقية: هي ما بعد البعث، لذلك: يتحسر، ويتمنى لو كان قدم لهذا اليوم عملاً صالحاً غير الذي كان يعمل.
على أية حال:

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وِثْقُهُ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾﴾

نعم، ليس هناك من يعذب عذاباً أشد من عذابه!! وليس هناك من يوثق ويقيّد في العذاب أشد من قيده!! يا رب نسألك السلامة، وحسن الختام.

ما سبق كان حديثاً عن الطغاة الظالمين، ومصيرهم، وما يحدث لهم، ولكن المؤمنين المتقين - جعلنا الله وإياكم منهم - على خلاف ذلك، يقول ربنا تبارك وتعالى:

﴿يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجَىٰ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْضِيَةً ﴿٢٨﴾ فَأَدْخُلُ فِي عَبْدِي ﴿٢٩﴾ وَأَدْخُلِي جَنِّي ﴿٣٠﴾﴾

يقول ربنا سبحانه للمؤمن عند الموت، وعند البعث، وعند الحساب: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ
الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ بطاعة ربها.

﴿أَرْجِعْ﴾ إلى جوار ﴿رَبِّكَ﴾ وثوابه ونعيمه ﴿رَاضِيَةً﴾ بذلك ﴿مَرْضِيَةً﴾ عنده.

﴿فَادْخُلِي فِي﴾ جملة ﴿عِبَادِي﴾ الصالحين، وكوني معهم.

﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ خالدة مخلدة فيها.

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة البلد

سورة مكية، تبدأ بقول الله عز وجل:

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَالْوَالِدِ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾﴾

يقسم ربنا سبحانه وتعالى - في صدر هذه السورة - بشيئين، وله سبحانه أن يقسم بما شاء، يقسم قائلاً:

﴿لَا أُقْسِمُ﴾ أي: أقسم ﴿بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ وهي مكة المكرمة، شرفها الله.

كما يقسم قائلاً: ﴿وَالْوَالِدِ﴾ أي: آدم ﷺ ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ أي: ذريته من بعده.

وفي القسم بمكة: تشريف لها، وتعظيم، وتحريم. وفي القسم بآدم وذريته: تكريم له ولذريته، وإظهار لقدرته سبحانه عز وجل.

وأما عبارة ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا﴾ فهي خطاب للحبيب ﷺ من ربه، ومعناه: أقسم بها وأنت مقيم فيها، وفي هذا: من التشريف للنبي ﷺ.

ولكن علام يقسم ربنا عز وجل بهذا القسم؟

الجواب: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾

نعم، لم نخلق هذا الإنسان عبثاً، ولم نخلفه بلا غاية، بل: خلقناه لمهمة ورسالة وتكليف، لذلك: فهو في معاناة، ومتاعب.

حقاً: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ أي: يكابد ويعاني مضائق الدنيا، وشدائد الآخرة؛ لينال ما يستحق عن جدارة واختيار.

ومع ذلك، فهو في قبضتنا:

﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾﴾

نعم، ﴿أَيَحْسَبُ﴾ هذا الإنسان، ويظن غرورًا منه، وفرارًا من المسؤولية ﴿أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ وأن لن يحاسبه أحد؟

لذلك ﴿يَقُولُ﴾ غرورًا بماله، واعتدادًا بقوته ﴿أَهْلَكْتُ﴾ أي: أنفقت في حرب الدعوة، وصد الناس عن سبيل الله، وفي الشهوات ﴿مَالًا لُبَدًا﴾ أي كثيرًا. وهذا: هو الكافر ﴿أَيَحْسَبُ﴾ بقوله هذا، وفعله ذاك ﴿أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ أي: أيعظن أن الله غير موجود؟ أو غير قادر عليه، وعلى عقابه؟ إن كان يظن ذلك عن قناعة!! فليسمع نداء الحق تبارك وتعالى:

﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَمْ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾

حتى يعرف قدرتنا عليه، وحتى يبصر الحق الذي ندعوه إليه، وحتى ينطق بالصدق والإيمان الذي يثاب عليه، وحتى يختار طريق الخير من هذين ﴿النَّجْدَيْنِ﴾ وهما طريق الخير، وطريق الشر، حيث هديناه، وبصّرناه بهما، ومكّناه من سلوك ما يشاء منهما. وبعد معرفته لقدرتنا عليه، وإنعامنا به، وإعلامنا له بالخير والشر!!

﴿فَلَا أَقْنَحُمُ الْعُقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعُقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُ رَقَبَةً ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَمُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾

أي: فهلاً ﴿أَقْنَحُمُ الْعُقَبَةَ﴾ أي: جاهد نفسه بقوة العزيمة، وصدق الرغبة في طاعة الله، حتى يتخطى ويتجاوز هذه العقبة، التي تحول بينه وبين الإيمان الصادق. ولكن!! ما هذه العقبة؟ إنها شيء عظيم يقول عنها ربنا معظمًا: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعُقَبَةُ﴾!!

ثم يبينها عز وجل قائلاً: إنها ﴿فَكَ رَقَبَةً﴾ أي: إعتاق رقبة مسلم من ذل العبودية، أو المساعدة في ذلك.

﴿أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ أي: من الأقارب، ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ أي: في غاية الفقر.

وبعد هذا دوام على طاعة الله!! نعم:

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ (٧)

أي، صار من المؤمنين، العاملين، المتحابين، المتراحمين، الذين يتواصلون فيما بينهم وبين أنفسهم، وبين بعضهم البعض بالصبر على طاعة الله، والصبر عن معصيته، الصبر على الشدائد والبلايا، والصبر في ساحات الجهاد.

حقاً: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ (٨)

أي: هؤلاء هم: أهل اليمين، الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم، والذين قال الله عنهم:

﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ (٧) في سِدْرِ تَحْضُرٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَنضُورٍ ﴿٢٩﴾ وَظَلِّ مَذْمُورٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَكَهٍ كَثِيرٍ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُورٍ مَرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَعَلَّاهُنَّ أَتْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرْيًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿الواقعة: ٢٧-٣٨﴾

وأما الذين لم يقتحموا العقبة، ولم ينضموا للذين ﴿ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد: ١٧] فيقول عنهم ربنا عز وجل:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ (١٩) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ﴿٢٠﴾

أي: هؤلاء هم: أهل الشمال، الذين يؤتون كتبهم بشمالهم ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ مغلقة الأبواب، وهم الذين قال الله عنهم:

﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ (٤١) فِي سَمُورٍ وَحْمِيرٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُّزَفَرِينَ ﴿الواقعة: ٤١ - ٤٥﴾.

نسأل الله السلامة، ونسأله سبحانه: أن نكون من أصحاب اليمين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

obeikandi.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الشمس

سورة مكية، تبدأ بهذا القسم:

﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلُ إِذَا
يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَّاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾
فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾﴾

يقسم ربنا سبحانه وتعالى في هذه الآيات: بسبعة أشياء، وله سبحانه أن يقسم بما يشاء،
يقسم المولى عز وجل قائلاً:

- ١ - ﴿وَالشَّمْسُ﴾ المنيرة ﴿وَضُحَاهَا﴾ الدائم.
- ٢ - ﴿وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا﴾ جاء بعدها مباشرة.
- ٣ - ﴿وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا﴾ أي: أظهرها.
- ٤ - ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ أي: يسترها، ويخفيها في الآفاق.
- ٥ - ﴿وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا﴾ أي: وبناءها المعجز.
- ٦ - ﴿وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَّاهَا﴾ أي: بسطها، ومهدّها للإقامة عليها.
- ٧ - ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ وجعلها سوية الفطرة ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾ أي: فأفهمها
وأعلمها ﴿فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ وبين لها هذا وهذا، وسهّل لها طريق هذا وهذا!!

ولكن علام يقسم ربنا عز وجل بهذه الأشياء؟

الجواب: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾

حَقًّا، ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ وفاز برضوان الله، ونجا من غضبه سبحانه، ﴿مَنْ زَكَّهَا﴾ وطهرها - أي نفسه - وتعهدها بالتربية والرعاية، والإبعاد عن المعاصي.

﴿وَقَدْ خَابَ﴾ أيضًا، وخسر وضاع منه رضوان الله، ﴿مَنْ دَسَّهَا﴾ ضيَّعها، وأبعدها عن ركب الهداية.

مَنْ الذي ضيَّع نفسه ودسَّها، وجعلها تخسر كل شيء!!؟

يقول الله تعالى:

﴿كَذَبَتْ ثُمُودُ بِطَغْوَيْهَا﴾ (١١) إِذْ أُتِيتَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾

نعم، هذه هي (ثمود) قوم صالح عليه السلام التي طغت في الأرض، وبغت على الناس، وقصتها ما يلي:

﴿إِذْ أُتِيتَ أَشْقَاهَا﴾ وهو واحد منهم، يوم أن قال ﴿لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ صالح عليه السلام: هذه ناقة ﴿اللَّهِ﴾ التي طلبتم أن يخرجها الله لكم من الصخر؛ آية وعلامة على صدقي في دعوى الرسالة لإنقاذكم، وهذا ﴿سُقْيَاهَا﴾ الذي بيَّنته لكم؛ حيث تشربون الماء يومًا، وتشربه هي اليوم الآخر، وتعطيكم لبنًا بقدره، ثم ماذا فعلوا؟

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ لا حول ولا قوة إلا بالله!! ولكن هذا شأن الطغاة، وبالتالي: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ أي: ذبحوها، وهي آية الله، ونعمته لهم!! ولكن الذي ذبحها واحد منهم، وليسوا كلهم!! ولكنهم لم يمنعوه، بل رضوا فعله، فحق عليهم العذاب جميعًا، ﴿فَدَمْدَمَ﴾ أي: هدم ﴿عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ﴾ جميعًا بلادهم وأهلكهم، وذلك ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ هذا، ﴿فَسَوَّاهَا﴾ على هذا النحو الذي لم يغادر منهم صغيرًا ولا كبيرًا، دون هذا العذاب، وهكذا: تم إهلاكهم من القوي الجبار ﴿و﴾ هكذا ﴿لَا يَخَافُ﴾ سبحانه من أحد ﴿عُقْبَاهَا﴾ أي: تبعه، أو ملامة من أحد.